Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّةُ جَامعةِ بَابِل للعُلومِ الإنسَانيّة
Vol.32 / No.12/ 2024 المجلد 32 / العدد 12/2024

جهاز المخابرات في الدولة الفاطمية (296-567هـ/909-1172م)

فاتن كامل شاهين
وزارة التربية / مديرية تربية كربلاء المقدسة
fatnkaml84@gmail.com

تاريخ استلام البحث: 2024/10 /20 تاريخ قبول النشر: 2024/11 / 6 تاريخ نشر البحث: 2024 /12/29

المستخلص

جاء اختيار موضوع البحث الموسوم بـ"**جهاز المخابرات في الدولة الفاطمية (296-567هـ/909-1172م)** لتسليط الضوء على أهمية جهاز المخابرات وإمكانياته وأثره في حفظ أمن الدولة واستقرارها. خصص المبحث الأول للتعريف بجهاز المخابرات وأهميته وشمل أهمية الجهاز في استتباب الأمن وشن الحروب، واستعمال النساء في العمل المخابراتي، وأهمية عمل المخبرين والغمازين ومتولي الستر وصاحب العسس وجهاز أمن الخليفة. وتناول المبحث الثاني أسس جهاز المخابرات وإمكانياته وتناول نماذج من أساليب المخابرات الفاطمية واستقرار الأمن الذي يؤدي إلى الازدهار الاقتصادي.

الكلمات الدالة: المخابرات، الفاطميون، الجواسيس، الدولة الإسلامية.

The Intelligence Agency in the Fatimid State (296-567 AH / 909-1172 AD)

Faten Kamel Shaheen
Ministry of Education / Directorate of Education of Holy Karbala

Abstract

This study deals with the Intelligence Agency in the Fatimid State (296-567 AH/909-1172 AD). It was chosen to shed light on the importance of the intelligence service, its capabilities, and its role in maintaining the security and stability of the state. The first section is devoted to defining the intelligence service and its importance, in addition to the importance of the service in establishing security and waging wars, the use of women in intelligence work, the importance of the work of informants, backbiters, the cover-up officer, the watchman, and the caliph's security service. The second section tackles the foundations of the intelligence service and its capabilities as well as examples of the methods of Fatimid intelligence and the security that leads to economic prosperity.

Keywords: intelligence, Fatimids, spies, Islamic State.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المقدمة

إن وظيفة جهاز المخابرات هي حفظ أمن الدولة، ولكن مفهوم هذا الأمن يختلف من صاحب خبر إلى خبر؛ أو من خليفة إلى سواه.

ولم تكن مهماته قاصرة على مراقبة المعارضة السياسية، وإنما كانت تمتد لتشمل الدولة بجميع مرافقها، وكانت مراقبة الجهاز لهذه المرافق تريد أن تضمن شيئين هما: حسن أداء هذه المرافق، ثم ضمان ولاء من يديرون هذه المرافق.

فضلاً عن ذلك، علّم هذا الجهاز العالم الكثير، فقد يكون علمهم أن تستعمل المرأة وهي أفضل عنصر من عناصر الجهاز في التجسس على المعارضة، ومعرفة أخبارها، ولأن هذا الجهاز وهو يلاحق الناس يجعل منهم أحد اثنين، إما ضحية من ضحاياه مقتولاً، أو سجيناً أو منفياً أو مشردا، وإما منافقاً يظهر غير ما يبطن؛ فهو يصور لأفراد الجهاز خوفاً من بطشهم أنه مستعد أن يفدي الحاكم بروحه.

ومن هنا جاء اختيارنا للدراسة:"**جهاز المخابرات في الدولة الفاطمية (296-567هـ/909-1172م)**"لتسليط الضور على أهمية جهاز المخابرات وإمكانياته وأثره في حفظ أمن الدولة واستقرارها.

اقتضت حاجة البحث تقسيمه على مبحثين تسبقه مقدمة، وتتلوه خلاصة تضمنت النتائج التي توصلت إليها الباحثة، وقائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

خصص المبحث الأول لدراسة: "التعريف بجهاز المخابرات وأهميته" وشمل، أهمية جهاز الاستخبارات في استتباب الأمن وشن الحروب، واستعمال النساء في العمل المخابراتي، وأهمية عمل المخبرين والغمازين ومتولي الستر وصاحب العسس وجهاز أمن الخليفة.

وأفرد المبحث الثاني لدراسة: "أسس جهاز المخابرات وإمكانياته" وتناول: داعي الدعاة مسؤول عن أمن الجامع الذي يصلي فيه الخليفة، ونماذج من أساليب المخابرات الفاطمية، واستقرار الأمن يؤدي إلى الازدهار الاقتصادي.

المبحث الأول/التعريف بجهاز المخابرات وأهميته

أولا/ أهمية جهاز الاستخبارات في استتباب الأمن وشن الحروب

كان الحكام المستبدون والضعفاء الذين يخافون من شعوبهم، يبثون أعوانهم بين الناس لجلب التقارير والسعايات التي تتحدث عن المؤامرات والدسائس الممهدة لهذا الملك، بينما الفاطميون لم يستعملوا هذا الأسلوب، فحزبهم المنظم أفضل تنظيم[1:ص150]، والمنتشر في كل بقاع البلاد الإسلامية، الداخلة في سلطتهم والخارجة عن سلطتهم، كانت قيادات هذا الحزب، أو دعاتهم المنتشرون في كل البلاد،[2:ج51،1-53] حيث الدعوة سرية أو علنية، كان من أهم واجباتهم إرسال التقارير عن حالة الدعوة، وحالة أعداء الدعوة، أي العباسيين والسلاجقة[1][3:ص16-17] وولاتهم في المشرق، والأمويين في الأندلس.[4:ص57-58]

(1) السلاجقة: قبائل وثنية تستوطن سهول تركستان ونزحوا منها في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي إلى الأراضي الإسلامية المجاورة، واعتنقوا الإسلام بعد أن أسلم جدّهم الأكبر "سلجوق" منشئ دولتهم.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

أما التجسس على الناس والأعيان وأحوالهم، فلم تكن تهمهم، باستثناء حالة واحدة، في أيام الخليفة المستنصر بالله(427-487هـ/1035-1094م)[2][5:ج3،ص116]،[6:ص2] فقد كان الخليفة صغيراً،وكانت أمه رصد[3][7: ص82] هي التي تحكم، والنساء يحبون الوشايات والقيل والقال، فكثرت التقارير والسعايات[8:ج2، ص14]،[9:ج2،ص266]،[10:ص169] وكثر العزل والتعيين. فكان فيها خراب مصر.[9:ج2،ص266]

وكان الحاكم بأمر الله (386-411هـ/996-1020م)[4][11:ص94]، [12:ص17] أول من استعمل النساء في رفع التقارير والمعلومات، ومن أقواله: "**إن السعاية قبيحة وان كانت صحيحة**". وروى أن إحدى النساء غشت القاضي وذهبت إلى خليلها فحكم عليها الحاكم بالحرق بعد إقامة حد الزنى عليها. وكانت سبباً في منعه النساء من الخروج وإكثار المخبرات منهن.[13:ص59]

ثانياً / استعمال النساء في العمل المخابراتي

لم يملك الخلفاء والوزراء جهازاً للمخابرات فقط، بل حاولت نساء القصور مد شبكة استخباراتية تجمع لهن المعلومات التي تهمهن وتهم قصر الخلافة، فالسيدة العزيزية[5][14:ص167]،[15:ص335] زوجة العزيز بالله (365-386هـ/975-996م)[11: ص93][6]وشقيقة الحاكم، أقامت شبكة جمع معلومات مهمة، ومن بعد قتلها الحاكم[14:ص169] أيام ولده الظاهر لإعزاز دين الله(411-427هـ/1020-1035م)[16:ج1،ص214]، وأشار المسبحي[17:ص234] عن وفاة "تقرب" وهي رئيسة جهاز الاستخبارات العائد للسيدة العزيزية فقال: "**وفي يوم الاحد لعشر بقين، توفيت "تقرب"، جارية السيدة العزيزية، وكانت كثيرة التعصب، وكانت السيدة الشريفة،... قد جعلتها لها صاحبة خبر، فكانت تدفع إليها الأخبار والرقاع. وكانت جميلة الأمر، وكانت لها حال حسنة،**

---

(2) المستنصر بالله: أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة (427هـ/ 1035م) في السابعة من عمرة، ظل في الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر.

(3) رصد: أم الخليفة المستنصر كانت في الأصل جارية لأبي سعد التستري الذي تولى الوزارة للمستنصر بالله وكانت من عبيد الشراء السود وقد اتخذت ديواناً خاصاً لإدارة شؤونها واتخذت لنفسها العلامة للتوقيع وهي (الحمد الله ولي كل نعمة)، وقد لقبت بالسيدة الملكة وكان يشار إليها بالجهة الجليلة والستر الرفيع، أكثرت من شراء العبيد السود، وكوّنت لهم طائفة من طوائف العسكر الفاطمي، إذ بلغ تعدادهم خمسين ألف شخص.

(4) الحاكم بأمر الله: أبو علي المنصور بن نزار العزيز بالله بن المعز لدين الله، ولد سنة (375هـ/985م)، بويع بالخلافة سنة (386هـ/996م)،قتل في ظروف غامضة في سنة (411هـ/1020م).

(5) جارية رومية حازت مكانة مؤثرة لدى الخليفة. كانت مسيحية على المذهب الأرثوذكسي، لذلك اتسمت سياسة زوجها الخليفة بالتسامح الديني وتمكنت من أن تقنع زوجها بتعيين أخ لها مطرانا في القدس وآخر مطرانا في القاهرة.

(6) العزيز بالله: نزار بن معد بن إسماعيل خامس الخلفاء الفاطميين والإمام الخامس عشر من أئمة الإسماعيلية أهم أعماله إعلان وظيفة الوزير التي لم تكن موجودة في البلاط الفاطمي من قبل وكان أول وزير للخليفة الفاطمي هو يعقوب بن كلس سنة(367 هـ/ 977م). قطع الخطبة للخليفة العباسي في اليمن وإعلانها للعزيز بالله الفاطمي.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ونعمة ضخمة، ووجد لها من مال كبير، ووصت إلى المليحة المعروفة بمدلل جارية السيدة. وحمل مالها إلى القصر، ودفنت في القرافة[7]".

ومن الذين استعملوا النساء في جهاز المخابرات إضافة إلى الخليفة الحاكم الوزير المأمون البطائحي[8][16:ج1،ص235]،[8:ص87–92] فقد كان يخاف من الإسماعيلية النزارية[18:ج3،ص224]، [19: ص42] لأنهم هددوه بالاغتيال وهددوا الخليفة الآمر بأحكام دين الله (495–524هـ/1101–1129م)[9][20: ج1، ص604] أيضا، فجيّش جيشاً من النساء، وشكّل منهن جهازاً مخابراتياً، وكُنّ " **من أهل الخبرة والمعرفة للدخول إلى جميع المساكن، والاطلاع على أحوال ساكنيها، ومطالعته بجميع ما يشاهدونه فيها، فكانت أحوال كافة الناس على اختلاف طبقاتهم، وتباين أجناسهم من ساكني مصر والقاهرة تعرض عليه، ولا يكاد يخفى عنه منها شيء البتة"[9:ج3،ص108]**

وكان الوزير الأفضل بن بدر الجمالي[10][5:ج2،ص448] يعتمد على والدته في التجسس له، ومعرفة أحوال البلد؛ لأنه كان أرمينياً يدعي التشيع الإمامي الجعفري، ويحجر على الخليفة، أي إنه كان مكروهاً من العامة فكان يرسل والدته وهي متسترة، لتختلط بالعوام والتجار وتعرف رأيهم فيه.[8:ص60]

ثالثا/ أهمية عمل المخبرين والغمازين ومتولي الستر وصاحب العسس

في أجهزة المخابرات الحالية المعاصرة، مصطلحان متعارف عليهما: الجاسوس، الذي ينقل الأخبار من خارج البلاد، والمخبر الذي ينقل الأخبار من الداخل، أما أيام الدولة الفاطمية فكان هناك الكثير من المصطلحات والألقاب المخابراتية المتداولة.[21:ص97]

فالجواسيس هم الذين ينقلون الأخبار من بلدان الأعداء[22:ص212–213] والغمازون، هم الذين يدلون أصحاب الشرطة على المطلوبين أو بيوتهم وهم ملثمون، لأنهم يكونون من أقرباء المطلوبين أو من أبناء حيهم وحارتهم. وكانوا في أكثر الأوقات يعرفون من أبناء الحي[22:ص212–213]، فعلى سبيل المثال، عندما دخل قائد جيش الخليفة الظاهر إلى اللد[23:ج5، ص15]، الدزبري[24:ج1،ص148] اشتكى إليه أهل اللد بوجود

---

(7) القرافة بالأصل المقبرة التي أنشأها عمرو بن العاص بأمر الخليفة عمر بن الخطاب في سفح المقطم وكان المقوقس قد سأل ابن العاص أن يبيعه إياها بسبعين ألف دينار؛ لأن فيها غرس الجنة، والقرافة هو ابن سيف بن وائل بن المعافر، وقيل قرافة اسم امرأة من بني وائل وقد أصبحت القرافة من المنتزهات الجميلة العامرة أيام الفاطميين.

(8) المامون البطائحي: أبو عبد الله محمد بن الأمير نور الدولة أبو شجاع فاتك بن أبو الحسن مختار المستنصر المعروف بالمأمون البطائحي، تولى الوزارة في سنة (515هـ/1121م)، عُزِل عنها سنة (519هـ/1125م).

(9) الآمر بأحكام دين الله: أبو علي المنصور بن المستعلي بالله ابي القاسم أحمد بن المستنصر بالله، بويع بالخلافة في اليوم الذي مات والده وهو طفل له من العمر خمس سنين وشهر وأيام، لذلك أخذه الأفضل وبايعه ونصّبه مكان أبيه ونعته بالآمر بأحكام الله.

(10) الأفضل بن بدر الجمالي: هو أبو القاسم شهنشاه بن امير الجيوش بدر الجمالي، تولى الوزارة بعد وفاة والده، وأصبح وزير الخليفة المستعلي بالله بمصر، وعاصرت وزارته الخليفة المستنصر إلا أن الأخير توفي وقام الأفضل برفع الخليفة المستعلي بالله –وهو طفل– عرش الخلافة بدلا من أخيه الأكبر نزار،يقال: إن المستنصر هو من عهد لابنه الخلافة، بشهادة من أخت الخليفة المستنصر، ودامت وزارة الأفضل حوالي سبعة وعشرين عاما.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

غمازين يغمزون بهم إلى عدو الدولة الفاطمية حسان بن جراح[11][5:ج3،ص407] وكتبوا له أسمائهم وهم أربعون رجلا فقبض عليهم جميعاً وضرب رقابهم بسيف واحد.

أما متولي الستر، فهو المسؤول عن تعذيب المعتقلين، والتعذيب لا يحل إلا بالسجناء السياسيين[25:ص24]، وذكر المقريزي[9:ج3،ص195] أنه لما توفي الخليفة الحافظ لدين الله(524–544هـ/1129–1149م)[16: ج1، ص24] وخلفه ولده الظافر بأمر الله (544–549هـ/1149–1154م)[16:ج1،ص24] أول شيء عمله الظافر أن أحضر ابني الأنصاري وهما أبو عبد الله وسناء الملك[12] فأستدعى الحافظ متولي الستر وهو "صاحب العذاب"، واحضرت آلات العقوبة، فضُرب الأكبر "أبو عبد الله" بحضور الظافر بالسياط، إلى أن قارب الهلاك وثنى بأخيه كذلك، ثم أُخرِجا وقُطعت أيديهما، وسُحبت ألسنتهما من أقفيتهما، وصُلبا على باب زويلة[9:ج1، ص380] الأول والثاني، فتركا زماناً ثم وضعا.[9:ج3،ص195]، وسبب قتلهما انهما كانا من الكتاب، وقد زوّرا وحرّفا كلام الله، وشنّعا على الخليفة الظافر عند والده الخليفة الحافظ.[9:ج3،ص196].

أما صاحب العسس، فهو رئيس الشرطة الليلية، وكان له أهميته في الخلافة الفاطمية.[26:ج4،ص188]

والكثير من كتب التاريخ تذكر أنه كان للخليفة الفلاني عيون في المدينة الفلانية، فهذا يعني أن له جواسيس ومخبرين في بلاطات حكّام هذه المدينة، ويذكر أن الخليفة العزيز استطاع أن ينتزع عقداً من الجواهر[26: ج4،ص189] أخذه من الخليفة العباسي القائم وسرق عن صدره، وليس الهدف سرقة العقد، بل الهدف إفهام الخليفة العباسي، أن من استطاع أن يسرق عقداً من صدرك، يستطيع سرقتك وقتلك. وكذلك عمل الوزير اليازوري[28: ص36] عندما أرسل من سرق سكين زيري بن مناد الصنهاجي ودواته[13][5:ج2،ص383]، وأرسلهما له مع تهديد واضح، أن من استطاع أن يسرق السكين من ديوانك يستطيع قتلك فيه، وأقدم على سرقة نعليه مع التهديد، ولكن زيري بن مناد لم يخف من تهديدات اليازوري[9:ج2،ص215] فأرسل له بني زغبة[14][29: ج2،ص47] وبني هلال[15][30:ص209]، فخرّبت بلاده وقلعته من دياره.[9:ج2،ص216]

---

(11) حسان بن مفرج بن دغفل بن الجراح الطائي، صاحب الرملة، استولى على أكثر بلاد الشام في حكم الظاهر، وهو الذي لجأ إليه الوزير المغربي هرباً من الحاكم، ولجأ إليه أيضاً جعفر بن الحسين بن جوهر وأخوته بعد أن قتل الحاكم أباهم.

(12) أبو عبد الله وسناء الملك: لم نعثر على ترجمة لهما في المصادر التي بين أيدينا.

(13) زيري بن مناد الصنهاجي، جد المعز بن باديس، أول من ملك من بيت بني زيري، بنى مدينة أشير وحصنها في أيام خروج أبي زيد مخلج الخارجي، توفي سنة (360هـ/ 970م)، وكانت مدة ملكه قرابة عشرين سنة.

(14) بني زغبة: قبيلة من هلال بن عامر، من قيس بن عيلان، من العدنانية. كانت لهم عزة وكثرة عند دخولهم إفريقية، وقد تغلبوا على نواحي طرابلس وقابس، ولم يزالوا، من بطونهم: يزيد، حصين، مالك، عامر، وعروة، وقد اقتسموا بلاد المغرب الأوسط.

(15) بني هلال: قوم ينتسبون إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية ينتهي نسبهم إلى قيس عيلان بن معد وعم العدنانيون استقروا بداية في شبة الجزيرة العربية، استقدمهم إلى مصر الوالي عبيد الله بن الحبحاب في عهد هشام بن عبد الملك ثم هاجروا إلى المغرب سنة (440هـ/1048م).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وعندما قرر ملك الروم نقض الهدنة مع المستنصر بالله وإيقاف دفع الجزية والهدية السنوية المتفق عليها، وصلت الأخبار بهذا القرار من القسطنطينية إلى القاهرة، قبل إبلاغها لقصر الخلافة رسمياً.[9:ج2،ص214] وكما قال المقريزي.[9:ج2،ص227]: "**كان للوزير بالقسطنطينية عيون، فكتبوا إليه بذلك**".

رابعا / جهاز أمن الخليفة

كان للخليفة الفاطمي جهاز أمن منفصل عن بقية الأجهزة، يعمل بإمرة أحد قيادات القصر العسكرية أو أحد المستشارين ولا علاقة له بالوزير الأول أو بقيادة الألوية.[31:ص12].

وخير دليل أن جهاز الأمن الخاص بالخليفة يستطيع إرسال فرقة تدخل سريع "جريدة "[32:ج2،ص208] كالجريدة التي أرسلها معضاد الخادم[16][26:ج4،ص193] والشريف العجمي[17][9:ج2،ص154] دعماً للقائد الدزبري إلى اللد والرملة في فلسطين لمقاتلة حسان بن الجراح. وقد أعطى كل فارس منهم أربعين ديناراً نفقات مستجدة خارجة عن الرواتب.[17:ص247]

ومن مهمات جهاز الأمن التابع للقصر، المحافظة على أمن الطرقات والاستعانة بالشرطة التابعة لوالي القاهرة أو والي مصر، في حالات ذهاب الخليفة وإيابه في كل الاحتفالات.[13:ص59]

وأشار المسبحي[17:ص229] أن الشرطة استعانت بالمخبرين لمعرفة قتلة التاجر المغربي أبي الحسن السوسنجردي[18]، الذي وجد مذبوحاً مع غلمانه "**وأخذ ما وجد من ماله**". فقبض متولي الشرطة على الجناة بعد كشف أمرهم عن طريق المخبرين، واستأذن بضرب رقابهم فأمر بذلك، وضرب رقابهم.[17:ص229]

وكان المسؤولون يستأجرون أو يشترون البيوت الملاصقة لمكان اقامتهم، للدواعي الأمنية، كاستئجار الوزير الأول علي بن أحمد الجرجرائي [19][28: ص35] للدار الملاصقة لداره، وإقامة الحراسة حول الدارين بفرقة من الرجالة لا تقل عن مئة رجل أمن.[33: ج3،ص15]

وكان مسؤول الأمن، يحجز بعض الفرق احتياطاً سلفاً في إقامة الاحتفالات. وكان ينوب الحراس المحجوزين احتياطاً "**من جميع الأصناف،... ما يطلق كل ليلة عيناً وورقاً، وأطعمة للبياتين بالنوبة برسم الحرس بالنهار، والشهر في طول الليل... من صبيان الخاص والركاب، والرهجية والسودان، والحجاب، كل طائفة بنقيبها...**،

([16]) معضاد الخادم: من خواص خدام السيدة ست الملك الذي أوكلت اليه مهمة خدمة الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، الذي قتل عبد الرحيم بن إياس.

([17]) الشريف العجمي: أحد خواص الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الذي دخل عليه وأظهر أنه يراعي أمر الدولة بأن يجتمع مع الشيخ نجيب الدولة الجرجرائي والشيخ محسن بن بدواس صاحب بيت المال.

([18]) أبو الحسن السوسنجري: لم نعثر على ترجمة له في المصادر التي بين أيدينا.

([19]) أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الجرجرائي الملقب بعماد الدولة، أخو الوزير المشهور أبو القاسم أحمد بن أحمد، يعرفان بالجرجرائيين، وهما عراقيان نزلا مصر، وفي خلافة الظاهر تولى الوزارة وصار له النفوذ المطلق، وبلغ من نفوذه أن نقش اسمه على الطراز واستمر في وزارته في عهد المستنصر بالله وكانت مدة وزارته سبع عشرة سنة وشهور قليلة. توفي (436 هـ/1044م)).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ولا يمكن بعضهم بعضاً من المنام، والرهجية تخدم على الدوام،...وإطلاق الأسمطة [20]لهم في الليل والنهار مستمر"[9:ج2،ص397]

المبحث الثاني/أسس جهاز المخابرات وإمكانياته

أولا/ داعي الدعاة مسؤول عن أمن الجامع الذي يصلي فيه الخليفة

داعي الدعاة في الدولة الفاطمية، هو أعلى سلطة دينية بعد الخليفة في حزب الدعوة الإسماعيلية[35: ص50] أو كما نقول: الأمين العام المساعد للحزب، وعليه، يجب أن يكون على معرفة وثيقة بكل الجهاز الحزبي الإسماعيلي وقياداته العليا والدنيا، من هنا كان أمن الجامع الذي يصلي فيه الخليفة والطرق التي يتبعها في ذهابه وإيابه من مسؤولياته.[35:ص50]

أما الخطبة فكانت تعد سلفاً، وتكون خطبة شيعية الهوى إسماعيلية المنحى فاطمية التوجه، مما يعني أن كاتبها يجب أن يكون داعي الدعاة أو الخليفة نفسه؛ لأن كليهما أعلم بالفقه الجعفري الإمامي من أي انسان اخر. وقد أكد لنا المقريزي[9:ج3،ص64] أن خطبة العيد "**كانت مبيتة**".

وعندما يصف لنا المقريزي[ج2،ص370] احتفالات عيد الفطر وصلاة العيد يقول: "**ولم يُفتح من أبوابه إلّا باب واحد، وهو الذي يدخل منه الخليفة، ويقعد الداعي في الدهليز ونقباء المؤمنين بين يديه، وكذلك الأمراء، والأشراف، والشيوخ، والشهود، ومن سواهم من أرباب الحرف ولا يمكن من الدخول إلّا من يعرفه الداعي، ويكون في ضمانه".[26:ج5،ص177]**

وكانت التجمعات تُمنع إذا لم تكن بعلم الأجهزة الأمنية، كالأعراس والموالد والطهورات. وكانت صالات الأفراح المعدة للأجرة، ترفع حيطانها بشكل لا يستطيع أصحاب أي دار مجاور رؤية العروس، أو في المشتركات في العرس، بإشراف المهندسين وبموافقة شرطة الحي أو الحارة.[36:ص119]

ويذكر المسبحي[17:ص176] أسباب قتل صاحب بيت المال العميد محسن بن بدوس[21][37: ص253]وزير الخليفة الظاهر بن الحاكم أن جهاز المخابرات رفع للخليفة الظاهر رسالة بخط ابن بدوس إلى حسان بن الجراح عدو الدولة وخارج عنها في منطقة الرملة بفلسطين ورسالة بخط حسان بن جراح عنده، يحثه فيها على بذر الفتنة والشقاق في صفوف المجتمع المصري. وقيل: إن الخليفة الظاهر "**أخرج كتاباً مختوماً بخطه، فدفعه إلى الشريف الحسني، فقال له: تعرّف هذا الخط؟ فنظره، ثم أراه للشيخ نجيب الدولة الجرجرائي، فنظره. ثم قال: نعم يا أمير المؤمنين، هذا خط الشيخ العميد محسن بن بدوس، فقرئ الكتاب فوجد فيه طعنا على الدولة، وفي آخره...**

([20]) الأسمطة: موائد كبيرة تقدم عبرها الأطعمة وتدعى الناس إليها من كافة الطبقات، كانت تمد الموائد وتعد ألوان الطعام بكثرة، وكان السماط يقام في يوم عيد الفطر مرتين بطول 300 ذراع وعرض سبعة أذرع.

([21]) محسن بن بدوس: صاحب بيت المال الذي تولى الوزارة في عهد الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله، الذي سيطر سيطرة تامة على الأمور فضلا عن القائد معضاد الخادم الأسود أبو الفوارس.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

يقول فيها: إنك إذا وافيت بالعساكر لم تجد أحداً يلقاك ولا يمانعك"[17:ص177] فخرج الأمر بقتله فاعتقله نسيم صاحب الستر، بعد مصادرة كل دفاتره وحساباته وضرب عنقه.**[9:ج2،ص198]**

ثانيا / نماذج من أساليب المخابرات الفاطمية

روى **المقريزي[9: ج2،ص199]** عن الوحشة والتباعد الذي حل بين الوزير الأول أبي الفتح يانس الأرمني[37: ص278] وبين الخليفة الحافظ، فطلب الحافظ من طبيبه قتله بقوله: "**اكفني أمره بمأكل أو مشرب"[9:ج 3،ص145]**، وتوصل الحافظ إلى سم يانس بأن يوضع له السم في ماء المستراح (البانيو)، فانفتح دبره واتسع حتى ما بقي يقدر على الجلوس. وهذا المرض يحتاج إلى الهدوء وقلة الحركة، فقام الحافظ بزيارته في بيته بحجة عيادته، ولم يتركه حتى نزلت أمعاؤه من بطنه ومات لتوه.**[9:ج3،ص146]**

وأقدم الحافظ على قتل ولده حسن لتهدئة القوم فقتله الطبيب اليهودي ابن قرقة بالسم بعد أن رفض الطبيب القبطي قتله. وقد سقاه ابن قرقة السم بالقوة وهو مكبل.**[9:ج3،ص146]**

وأشار المقريزي**[9:ج3،ص200]** عن إقدام الوزير الأول علي بن السلار[22][34:ص59] على قتل متولي ديوان النظر الموفق محمد بن معصوم[23][38:ج6،ص360]،ىلا لسبب إلا لأنه رده بمعاملة غير كاملة التواقيع، حين كان ابن السلار موظفاً مبتدءاً، فلما أصبح الوزير الأول، ردها له بقتله شر قتلة، "**وأشار لبعض خدمه فاحضر مسماراً حديداً عظيم الخلقة، وقال: والله هذا أعددته لك من ذلك الوقت، وأمر به فجُرّ وضُرب المسمار في أذنه حتى نفذ من الأخرى، وحمل إلى باب زويلة الأوسط ودُقّ المسمار في خشبة وعُلّق عليها ميتاً".[9:ج3،ص200]**

ليس هذا الحقد الدفين، الذي يقتل الناس حسب مزاجه، من أخلاق الإسلام والمسلمين بل خُلق طارئ على الإسلام، فابن السلار يعرف من اسمه أنه إما طردي أو تركي، وبالعودة إلى وزارة ابن السلار نجد أن أكثر الذين قتلهم، قتلوا بلا سبب كقاضي القضاة وداعي الدعاة وقد بلغ الذين قتلهم سبعة عشر ألف شخص.[39:ص1-23]

وعندما حدث المقريزي**[9:ج3،ص200]** عن الوزير الأول ضرغام[الأزدي16،ج1،ص114] وصفه بأنه "**كان أُذُناً متخيلاً**" أي يدير أذنه لكل الناس ويعمل بما يسمع دون التبصر والتأكد وأدت إدارة أذنه للوشاة، إلى تدمير المجتمع المصري وزوال الدولة الفاطمية.**[9:ج3،ص262]**

([22]) علي بن السلار: أبو الحسن علي بن السلار الكردي الملقب بالملك العادل، وزير الخليفة الفاطمي الظافر بأمر الله، وقيل اسمه أبو منصور علي بن إسحاق كردي الأصل.

([23]) القاضي أبو الكرم محمد بن معصوم التنيسي الملقب بالموفق، كان ناظراً للدواوين بمصر مع الأموال والخزائن، أعيد للنظر بالدواوين والخزائن سنة (540هـ/1145م)، قتله الوزير علي بن السلار سنة (544هـ/1149م).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وقد روى المقريزي**[9:ج3،ص312]** أيضا أن أحد رجال صلاح الدين الأيوبي(24)[5:ج7،ص139] اعتقل رجلاً رث الثياب يلبس نعلين جديدين، ولما شاهد اختلاف نعليه عن بقية ثيابه فتح النعلين فوجد فيها رسائل من شاور إلى الفرنج.

ومن أساليب المخابرات، أن يستدعوا أحد القواد الذي يملك الغلمان والعساكر الكثيرة، لزيارة قصر الخلافة، بحجة استدعائه من الخليفة، وفي القصر يلقون القبض عليه دون مناوشة أو معاركة مع عساكره وحراسه، كإقدام جهاز أمن الخليفة على اعتقال العميد محسن بن بدوس، إذ طلب منه نسيم صاحب الستر[17:ص177] ترك مكتبه (بيت المال) والاتجاه نحو القصر، فما أن وصل إلى القصر، حتى حُجز "**بالحجرة التي برسم نسيم في القصر الكبير**"، أعتقله هناك رهن التحقيق. وانتهى التحقيق معه بقتله ومصادرة أمواله بعد ثبوت اختلاسه بيت مال المسلمين وخيانته.[17:ص178]

ثالثا / استقرار الأمن يؤدي إلى الازدهار الاقتصادي

منذ بداية الدولة الفاطمية وحتى انتهائها، كان الخلفاء الفاطميون يؤكدون ضرورة استتباب الأمن ويربطون استتبابه بالازدهار التجاري والاقتصادي. والمُطّلع على تاريخ هذه الدولة، يجد العديد من الإشارات والسجلات والبيانات التي تربط الأمن العسكري والسياسي والاجتماعي بالأمن الاقتصادي.[41:ج1،ص95]

فمن أقوال قاضي القضاة عبد العزيز بن محمد بن النعمان بن حيون[42:ص599]،[43:ج18،ص538]:

تأمّلْ لذي الدنيا تجدها مشوبة سروراً بحزن في تقلب أحوال

وقد قُسّمت أشياؤها بين أهلها فمالٌ بلا أمن وأمنٌ بلا مال[:ج2،ص22]

وحرص الفاطميون في الاحتفالات بأيام النوروز والغطاس والميلاد والمهرجان، على استتاب الأمن فيها، إذ كان الأمير تميم بن المعز يشرف على حراسة المحتفلين وكيف كان المصريون "**ينامون كما ينام الانسان في بيته، ولا يضيع لأحد منهم من قيمته حبة واحدة**".**[9:ج2،ص22]**

أما ناصر خسرو[44:ص121]، فقد أكد استتباب الأمن وأثره على التجارات فقال: بلَغ أمن المصريين واطمئنانهم إلى حد أن البزازين وتجار الجواهر والصيارفة لا يغلقون أبواب دكاكينهم، بل يسدلون عليها الستائر، ولم يكن يجرؤ أحد على مد يده إلى شيء منها.

أما في أيام الخليفة الحاكم، فإذا لقي أحدهم كيس ذهب في الطريق، لا يجرؤ على أخذه خوفاً من العاقبة. وكيف أن أحد التجار أضاع كيساً فيه ألف دينار، وعاد بعد أسبوع ووجده مكانه.[2:ج1،ص52]

(24) صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن شادي (ت 589هـ/1193م)، من أبرز أمراء نور الدين زنكي، عمل وزيرا للفاطميين ونائبا عن نور الدين زنكي في مصر، تمكن من إسقاط الدولة الفاطمية سنة (567هـ/ 1171م) وإعادة توحيد مصر وبلاد الشام بعد وفاة نور الدين زنكي (569هـ/1173م)، وتمكّن من استرداد بيت المقدس من الصليبين في (583هـ/ 1187م).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الخاتمة

1. أظهر البحث مدى اهتمام الدول بمدى العصور بعمل المخابرات، ومدى تعدد وسائل جمع المعلومات، وكيف أن للمخابرات في تلك العصور أنواعا وأساليب معينة، وأن عليهم واجبات يجب الالتزام بها والقيام على تنضيدها.
2. بين البحث كيف أن أولى الخلفاء جهاز المخابرات جلّ الاهتمام، إذ عملت على إعادة التوازن النسبي بين الواجبات الملقاة على عاتقه سواء المستوى الداخلي أو الخارجي.
3. ساهم جهاز المخابرات بصورة فعالة في تحقيق النصر للمسلمين والخلفاء، وساهمت أيضا على المستوى الداخلي في مراقبة الجهاز الإداري، وكشف التنظيمات المعارضة، ومراقبة القادة العسكريين، والشخصيات المهمة.
4. ولّى جهاز المخابرات بعض الأشخاص ليراقبوا الخلفاء وبعض الشخصيات بصورة غير استفزازية وغير منظورة، بعيداً عن الإثارة، وتتفاوت المراقبة والالتزام بها بين خليفة وخليفة، فضلاً عن تفاوت طبيعة من يُراقَب من الشخصيات حسب الأفكار السياسية التي يحملها.
5. تنوعت أساليب الخلفاء الفاطميين بمعرفة أخبار الناس من حيث استخدام النساء جواسيس وعيون لجمع المعلومات ومعرفة تحركات العدو وخططه. والتصدي للعدو الداخلي لحماية أسرار الدولة والقبض على من يحاول الكشف عنها.

CONFLICT OF IN TERESTS
There are no conflicts of interest

قائمة المصادر والمراجع

[1] أبو القاسم علي بن منجب ابن الصيرفي(ت542 هـ/1147م)،قانون ديوان الرسائل، عني بنشره: علي بهجت، القاهرة،(1905م).

[2] أبو البركات محمد بن أحمد ابن إياس(ت930هـ/ 1523م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، بولاق، المطبعة الكبرى الأميرية، (1893م).

[3] عبد المنعم محمد حسنين، سلاجقة إيران والعراق، القاهرة، (1975م).

[4] أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي(من علماء القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، فرق الشيعة، عني بتصحيحه:هـ. بتر، إستانبول، مطبعة الدولة (1931م).

[5] أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان (681هـ/ 1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي (1990م).

[6] يلدز داود سلمان، المستنصر بالله الفاطمي دراسة في سياسته الداخلية والخارجية(427-487هـ/ 1035-1094م)، رسالة ماجستير غير منشورة: الجامعة المستنصرية: كلية التربية،(2008م).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[7] هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي، ت(470هـ/1077م)، سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة (ترجمة حياته بقلمه)، تقديم وتحقيق: محمد كامل حسين، ط1، القاهرة،(1949م).
[8] محمد بن علي ابن ميسر(ت677هـ/1278م)، المنتقى من أخبار مصر، أعتنى بتصحيحه، هنري ماسيه، (القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسي الخاص بالعادات الشرقية،(1919م).
[9] تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (845هـ/1442م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي،(1976م).
[10] معد بن تميم بن المستنصر بالله (ت487هـ / 1094م)، السجلات المستنصرية(سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه إلى دعاة اليمن قدس الله أرواح جميع المؤمنين)، تقديم وتحقيق: عبد المنعم ماجد، القاهرة، دار الفكر العربي، (1954م).
[11] أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي (ت626هـ/1228م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: التهامي نقره وعبد الحليم عويس،ط1، القاهرة دار الصحوة.
[12] وسيم عبود عطيه الحدراوي، الحاكم بامر الله (386-411هـ/996-1020م) دراسة في سياسته الداخلية والخارجية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الكوفة: كلية الآداب (2004م).
[13] أبو يعلى حمزة بن أسد ابن القلانسي (ت 555هـ/1160م)،ذيل تاريخ دمشق, تحقيق: امدروز، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين،(1908م).
[14] علي حسني الخربوطلي، العزيز بالله الفاطمي، القاهرة، دار الكاتب العربي.
[15] سعد إسماعيل محمد، ست الملك ودورها السياسي في الدولة الفاطمية، بور سعيد، كلية الآداب.
[16] علي بن منصور الأزدي (ت613هـ/1216م)، أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: عصام مصطفى هزايمه ومحمد عبد الكريم محافظة وغيرهم، ط1، الأردن، دار الكندي، (1999م).
[17] محمد بن عبيد الله المسبحي (ت420هـ/1029م)، أخبار مصر في سنين 414-415، تحقيق: وليم ج.ميلورد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب(1980م).
[18] عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية (الدولة الفاطمية الكيرة) ط1 قبرص، رياض الريس (1991م)
[19] محمد كامل حسين، طائفة الإسماعيلية تاريخها، نظمها، عقائدها، ط1، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، (1959م).
[20] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ/150م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1،القاهرة، دار إحياء الكتب العربية،(1986م).
[21] محمد راكان الدغمي، التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، القاهرة، دار السلام، (1985م).
[22] عبد الله علي السلامة، الاستخبارات العسكرية في الإسلام، بيروت،(1991م).
[23] ياقوت بن عبد الله الحموي (ت626هـ/ 1228م)، معجم البلدان، ط2، بيروت، دار صادر،(1995م).
[24] إسماعيل بن علي أبو الفداء(ت732هـ/1331م)، المختصر في أخبار البشر، القاهرة، المطبعة الحسينية، (1907م).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[25] أبو سعيد الشعراني، مختصر سياسة الحروب، تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، دمشق، دار كنان،(1955م).
[26] أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي (ت874هـ/1469م)، النجوم الزاهرة في ملو مصر والقاهرة، القاهرة، دار الكتب.
[27] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت748هـ/1347م)، سير أعلام النبلاء، القاهرة، دار الحديث، (2006م).
[28] أبو القاسم علي بن منجب ابن الصيرفي(ت542ه/ 1147م)،الإشارة لمن نال الوزارة، تحقيق: عبد الله مخلص، بغداد.
[29] عمر بن رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت، مؤسسة الرسالة،(1994).
[30] الراضي دغفوس، مراحل تاريخ الهلالية في المشرق (مسار قبائل بني هلال وبني سليم من الحجاز ونجد إلى افريقيا والمغرب)، مجلة المؤرخ العربي، عدد11 بغداد (1980م).
[31] فاروق عبد السلام الشرطة ومهماتها في الدولة الإسلامية ، القاهرة،(1987م).
[32] محمد بن القاسم أبو بكر الانباري (ت328هـ/939م)، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، بيروت، مؤسسة الرسالة،(1992م).
[33] مؤلف مجهول (ت350هـ/961م)، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، (بغداد، مكتبة المثنى، (1971م).
[34] أبو محمد المرتضى بن عبد السلام ابن الطوير (ت617هـ/1220م)، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق: ايمن فؤاد سيد،ط1، بيروت، دار صادر،(1992م).
[35] هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي، ت(470هـ/1077م)، ديوان المؤيد في الدين، تقديم وتحقيق: محمد كامل حسين، ط1،القاهرة، دار الكاتب المصري، (1949م).
[36] عبد المنعم عبد الحميد سلطان، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي،(دار الثقافة العلمية،القاهرة، 1999م).
[37] محمد حمدي المناوي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، القاهرة، دار المعارف، (1119هـ).
[38] تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (845هـ/1442م)، تاريخ المقريزي المسمى المقفى الكبير، تحقيق: محمد عثمان، ط1، دمشق، دار الكتب العلمية، (2010م).
[39] لؤي إبراهيم بواعنة، ازمة الوزارة في عهد الخليفة الفاطمي الظافر بأمر الله الوزير العادل علي بن السلار نموذجا(544-548هـ/1149-1153م)،المجلة الأردنية للتاريخ والاثار،المجلد(9)،العدد(3) لسنة(2015م).
[40] دريد عبد القاهر نوري، سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة، 570ه-589ه، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، (1976م).
[41] عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ط3، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية (1985م).
[42] أبو عمر محمد بن يوسف الكندي (350هـ/961م)،كتاب الولاة وكتاب القضاة، صححه: رفن كست، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، (1908م).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[43] صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت764هـ/1362م)، الوافي بالوفيات، ط1، تحقيق: محمد بن الحسين بن عبد الله ومحمد بن عبد الله الشبلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (2000م).
[44] أبو معين علوي ناصر خسرو (ت481هـ/1088م)، سفرنامه، ترجمة: يحيى الخشاب، القاهرة، الهيئة العامة المصرية، (1993م).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq